ولكنها مقصورة على عدد محدود من الطلاب بينما يجب أن تكون شاملة للجميع ، ويُعَدُّ الالتحاق بها أمراً إضافياً على حين يجب أن يكون أساسياً ، وما دامت لا تدخل في المنهاج ولا يمتحن في أعمالها الطلاب المرهقون خارجها ببرنامج حافل فانها لا تجتذب إلا القليلين ، وأغلبهم ممن لا يحفلون بالمواد الدراسية وكان يجدر الجمع بين الأمرين

***

فبتطهير الوسط المدرسيّ من أوشاب السوقة ، وإعطاء الرياضة البدنية مقامها اللائق ، وخلق الحياة الاجتماعية الجذابة بالمدرسة مكان الحياة القفرة المنفّرة ، تهيئ المدرسة الجو النقي الصالح الذي يبعث الطالب على مكارم الأخلاق ، ويهديه إلى القدوة الحسنة ، ويسمو به إلى احترام النفس والمجتمع ، وبذلك تؤدي المدرسة واجبها الأول ، وتحقق التربية غرضها الأسمى .

وهذه بعينها هي السُّنة التي درجت عليها المدارس الانجليزية من قديم ، ولا شك أن المدرسة الانجليزية تفوق غيرها من المدارس ، ولم يبلغ الانجليز ما بلغوا من العظمة بتزويد أبنائهم بمقدار من المعارف أكبر مما يناله غيرهم ، بل بالرياضة البدنية والحياة الاجتماعية المدرسية ، وهذه هي وسيلة التربية الخلقية وهي أداة الكفاح والنجاح في الحياة للأفراد والأمم . ومن المأثور المشهور قول ولنجتون إن معركة وترلو كُسبت في ملعب كلية إيتون ، فهو لم يقل إنها كسبت في حجرات الدراسة أو معاملها ، بل في الملعب حيث تخرج الرياضة البدنية جسماً سليماً وعقلاً سليماً وخلقاً قوياً وفرداً ينفع نفسه ومجتمعه

الإسكندرية — فخري أبو السعود

المدرس بالعباسية الثانوية


الاسبرانتو Esperanto

كل القواعد — ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد مصرية أو قسيمة للمجاوبة — أطلب النشرة نمرة ٣٠

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة ص . ب ٣٦٣ بور سعيد


## هراقليوس في المعبد

# البَطَـــل *

## للأستاذ معروف الأرناءوط

« أي صديقي معروف ! إنك لتذرر أشخاص عالمك الذي صفت في هذه الرواية البارعة ، بشعاع رقيق ، يحفل بالطيوب واللحون والألوان والصور

إنك لتفيض على كل ما تكتب بركة الحياة والنور ، فالأشكال تتكلم ، والصور تغني ، والأخيلة تتفتح عن ألوان لماحة كالطيف ، مفترة كالصباح

فهنا حياة كاملة لجيل من الناس تنبسط وتأتلق حتى تملأ الأكوان ببهتها وإشراقها

وهنا الحدائق تتدفق بأنهار كأنهار الجنة تتهد وتفرد ، وتتلفت وترهى ، وتعبق حافتها بخمائل الخلد وأزاهير النعيم ، ثم تذوب في الجو الساجي الحالم أنفاساً مشبوبة بالعطر ، لاهبة بالغناء طافحة بالشوق

فمن أحب أن يشعر بهناءة الفن ، ورفادة الأدب فليقرأ « عمر بن الخطاب »

ومن فاته أن يرى إلى جنائن عبقر ، وحدائق الشرق المسحورة ، ويتسمع إلى حكايات الحب وأقاصيص الحرب ، وينظر إلى مواكب المجد وكتائب النصر فليلتمسها في هذه الملحمة الكبرى ! »

أنور العطار

### سَرَبَ « هراقليوس[1] » في أنحاء الكنيسة بين المعمد

* الفصل السادس عشر من الملحمة الدينية الكبرى : « عمر بن الخطاب » التي تطبع الآن في دمشق ، لكبير أدباء الشام الأستاذ معروف بك الأرناءوط عضو المجمع العلمي العربي ومؤلف « سيد قريش » وصاحب « فتى العرب »

(١) « في هذه القطعة الشاعرة وصف دقيق أخاذ « لهراقليوس العظيم » يزور منفرداً في الليل كنيسة السيد المسيح في بيت المقدس ، وأحراسه وجنوده ومواكبه على أبواب المعبد ينتظرون معاده ، وهو فارق يستجدي هذا المطاف المقدس العزاء لنفسه الضارعة المهدودة ، فتمتلئ في عينيه صور ماضيه الآثمة ، فتثب الأشباح وتهمس الصور وتتنفس التماثيل ، ثم يبين له موكب من ضحاياه ينضم اليه أربعة أشباح أضناها العذاب وأذابها الهم ، أحدها رجل مشوه اسمه « تفتالي » وإلى جانبه ثلاث نساء هن « بليتزا » ، وابنتها الصغيرة مارية ، وبنيامينا ابنة تفتالي » وقد كن إلى جانب « تفتالي » مختبئات في حنايا المعبد يترقبن دخول « هراقليوس »

وهنا يعرض الأستاذ الأرناءوط لهذا المشهد الرهيب فيمزج الأحياء بالأموات ، والحقيقة بالخيال ، والنقمة بالعفو

يخيل إلى « هراقليوس » أن الصور المنقوشة في الحوائط والجدر والتماثيل المنصوبة في الزوايا والحنى ، تتحس وتتنفس وتتكلم ثم تمشي اليه صفوفاً متراصة تأخذ عليه السبل وتثير فيه الخوف والرعب والألم والندم ، فيغيب عنه في عالم يسوده البكاء والهول ، ثم يغمره العفو والرحمة ! »

والأقواس والحنايا والقناطر والتصاوير والشموع ، فكأنه فى سروبه طائف ألقت به دنيا الأموات إلى دنيا الناس ، وما كان قاهر الفرس وسيد الكتائب الظافرة فى أفريقية وأوربة ليستطيع أن يكافح شجوناً علقت بنفسه وملكت عليه إحساسه وشعوره ، وتلك هى شجون لم يحسر عنها أمام خلصائه وأصفيائه استبقاء لزهوه وكبره ، وحرصاً على ذلك المجد الذى بلغ نواحيه فى عمره الطويل ، ولكنه أحب أن يأتى بحزنه وشجوه إلى هذا الليل الغاسق الذى بسط جناحيه على غابة تمور بالصور والدُّمى والمرمر والبرفير واللآلىء واليواقيت ، وقد يكون من الخير لنفسه أن تطفو روحه على هذه المشاهد والأشياء ، فكان كلما مر برواق من هذه الأروقة المعتمة هتف الجرح بقلبه وحسه ، فترسَّل فى مشيته ، وأقبل إلى العمد المرمرية الماثلة فترفق على جذوعها وجعل ينظر إلى أضواء الشموع ، ثم إلى هذه الصور التى قبست شحوبها من نفوس عمرت بالألم والتقى والورع ، فاذا صدف عن العمد المرمرية ونازعته نفسه إلى الطواف بالأماكن القدسة ، انبسط أمامه فضاءُ الكنيسة واتسع ، وخيل إليه أن الحوائط والجدر تفرّ منه وتنأى عنه ، فما يستطيع لحاقاً بها ، ولا تستطيع أن تسايره فى منازعه فتسكن وتستريح ؟ وكان فى بعض الأحايين لا يجد معدى عن الوقوف أمام هذه الصور الملونة رجاة أن يتعرف إلى أصحابها ، فيفتح عينيه ويمد يده إلى مذبح صغير ازّينت أطرافه وجنباته بالذهب ، فيقبض على شمعة من هذه الشموع التى تضىء المذبح ، ويأتى إلى الصور ويقرأ أسماء الرسل على الضوء ، ثم لا تعجبه هذه الأسماء فيرتد عنها فى مثل خفة الوميض ، ويطرح الشمعة إلى حضيض البيعة ، فيخبو نورُها ، ثم لا يغمه ويحزنه أن يستأنف طوافه فى ليلين راعبين : ليل نفسه ، وهذا الليل الذى يغشى المعبد !

وربما كان من أحبّ أمانيه ألا يقولَ شيئاً لأصحابِ التصاوير ، وقد يكون من أرضى هذه الأمانىّ أن يأتى بدخيلة نفسه الى المسيح وحده ، وذريعته فى الحرص على صمته حتى يخلو الى صورة السيد المسيح أنه ناضل ونافح فى سبيله ، فأولى للنبى الذى نصره على الوثنية وبارك سلاحه فى سوح الوغى أن يفزع الى الرسول العبقرىّ ، وإنما يَضيرُه أن يقص حياته على صورٍ ما كان أصحابها من طرازه وعنصره !

ولقد وقف « هراقليوس » بعد إفلاته من القبر المقدس بجوارِ صخرةٍ قيل إن ملكا من السماء وقف عليها ليتحدث الى العذراء مريم ؛ فتهافت عليها وتمسح بها ، ثم دخل الى بيعةٍ صغيرة أسماها نصارى القرون العافية « معبد الملائكة » ، ثم لم يلبث أن ازْوَرَّ عنها وجاء الى بيعةٍ عاذية فى رحبتها قطعة كبيرة من المرمر الرّمادى قيل إن السيد المسيح صعد عليها وتراءى لمريم المجدلية ، وعليه لباسُ جنَّان يحملُ الورد ، وكانت البيعة الصغيرة تسبح فى ظلام شديد ، ففتنته الجهمة الراعبة من شموع الرجل التقى ، فجثم مصلياً على المرمر وحدَّقَ الى سماء المحراب كأنه يريد أن يتعرف المكان الذى خرج المسيح منه بعد دفنه ، ولم يطل مكثه فى المحراب ، فعافه وغشى المعبدَ الذى ظهر فيه السيد للعذراء بعد بعثه ، فطاف بودائعه طوفة الحاجّ المنيب ، وكانت المصابيح المذهبة الملونة تضيء جوانب المعبد ، فرأى هراقليوس على وميضها صورة تمثل المسيح ووالدته ، فرقّ للصورة وابتسم ، ولكن ذلك العزاء الذى تمناه لم يخالطْ نفسه ، فجمع ذيول ردائه وخرج من المعبد ليدأب فى طوافه ، فاستقبلته العُمُدُ المرمرية الرفيعة ، كأنها خيالات الموتى ، فأشاقه ماعليها من سعف النخيل وورق الغار ، وأنمى مخاوفه احتراق البخور فى كل ناحية من نواحى البيعة الكبرى ، وإطلال الصور على الحوائط والجُدُر ، وكان يخيل اليه أن حجّه قد انتهى ، فينبغى له وقد بلغ غايته من زيارة الأماكن الطاهرة أن ينقلب الى أحراسه الذين أبوْا مفارقة أبواب الكنيسة قبل فراغه من حجه ، فلما همّ أن يخرج لم يستطع أن يتعرف الأبواب ، فقد امتد صحن الكنيسة وفاح حتى ماثل الحرجة الفيحاء ، فألقى بنفسه الى تيهٍ راعب ، وبلغ به المطاف محراب القدّيسة « هيلانة » الماثل الى يساره ، فشخصَ اليه وقرأ اسم هيلانة منقوشاً على المرمر بحروف أغريقية ، وهو لا يجهل أمر هذه المرأة التى لبست التاج فى كنيسة الرسل ، وابتعثها شغفها المنيف بقصة حياة المسيح على فراق القصر ، فجاءت الى بيت المقدس لتبحث عن خشبة الصليب ، فلما عثرت عليها بالغت فى تكريمها ، ثم رفعت هذه الكنيسة تخليداً لذكريات تلك الحياة الماجدة !

لألأ الفرح على جبين هرقليوس فتشاجى ورقّ ، وجعل يستعرض تاريخ تلك المرأة النقية التي أزجاها الورع الشديد العنيف الى الايغال فى مناحة الوثنية ، فأكبر حياتها . ثم فاضل بين هذه الحياة وحياته ، فراقه تساوقٌ عجيبٌ فى الحياتين ، ولذه أن تبدأ المرأة العاقلة أمرها فى البحث عن الصليب حتى حصلت عليه ، وأن يبدأ هرقليوس أمره فى إرجاع الصليب الى مكانه الأصيل بعد انتصاره على جيوش ملك الملوك كسرى !

وكانت هذه المفاضلة التي ذهب اليها ساعة وقف الى جانب المحراب مثاراً لذكرياتٍ نبيلة فى نفسه ، فاطمأن البطل المقارع الى خاتمة حياته ، ووثق بقدرته على اجتناء النصر حتى يغيب فى رمسه ! وماعاد يخيفه هذا البغض الذى يشعر به الناس فى الشام وفلسطين ومصر ، بل عاد هرقليوس يخاف أمر هذه الصحراء التي أخرجت الأبطال والمساعير الى مشارف الشام للثأر بدم الرسول الذى قتله أميرٌ من غسان ! ومن أين لهذه الصحراء الغارقة فى الرمال ، والتي لايسمع لها نشيدٌ فى البلاد الوارفة الظلّ ، حظّ هرقليوس اللامع وجدّه الساطع ؟ وهذا الملك الطويل العريض الذى استعبد الشعوب وأذلّ الملوك ؟ بل من أين لهذه الصحراء القطشاء السادرة فى حر الهاجرة ، هذه الأنهار الجارية ، وهذه البحار الطافية ، وهذه الشطآن التي لاحد لها ولا انتهاء !

قد تغرى الحماسة فرسان الصحراء بالوثوب على القرى والمسالح ، ولكن دون وصول هؤلاء الفرسان الى المدن الضاحكة على ضفاف الأنهر وشواطئ البحار ، حميّة هؤلاء الملوك الذين مشوا فى ركاب قيصر لقتال كسرى فى مدائنه ! وبسالة الجيش الذى ظفر بأسلاب العدوّ فى جبال الألب وفى سهول مقدونية ، وعلى شواطئ البحر اليونانيّ !

وماذا يستطيع « فروة بن عمرو » الذى ثار على سيده ومولاه أن يفعل ، وفى جيش هرقليوس قوادٌ ماتزال صدورهم تخفق بتلك الأناشيد التي سمعها العراق وسمعتها فارس ، ولا يزال صليلها الراعب يرعد فى سمع هذه الدنيا التي لا يرتفع لها علم بجوار علم قيصر ! . . .

لقد همس هرقليوس باسم فروة ، وهو منحدرٌ الى الهاوية العميقة التي نقرت على جلامدها كنيسة القديسة هيلانة ، همس الساخر العابث ، ولما جاز السلاليم إلى ذلك المنحدر الأوهد رفع يده إلى الفضاء كأنه يتوعد الفيلارك فروة بن عمرو الجذامىّ ، ثم تضاحك ، حتى لقد رنّ ضحكه فى جوف الهاوية وأردف صائحاً : « ما أنا بحاجة الى قتالك أيها الفتى الذى ابتعثته أماني الشباب على الزراية بسيدّ الجيوش وأمير الجحافل ! فمثلك لايقاتله رجل إلا من طرازه ونوعه ، وقد وفقت فى العثور على الرجل فاليكه ، فانه الحارث الغسانى أمير دمشق وسيأتيك من حيث لم تحذر ، ويقاتلك من مأمنك »

جاز قيصر السلاليم فى رفق وهوادة ، فاستقبلته الظلمة الفاحمة ، وارتمت على جبينه الرطوبة ، وسرت إلى نفسه عفونة ماكان يستطيع عليها صبراً ، ومع هذا كله مضى هرقليوس لما شاء ، ودأب فى انحداره حتى انتهى إلى الهاوية ، فاذا عليها سحب من ليل صارد ، وإذا الرطوبة التي استقبلته على وصيد الباب تستقبله عند كل خطوة ، وإذا هو لايبصر غير بريق الفسيفساء على الحياط والجدر والحنايا ، فانكمش وتقاصر وردّت اليه هواجسه ، وثابت الى قلبه وساوسه ، وامتلأ رأسه بالتهاويل والتصاوير ، فاطرح عبقرية الرجل الأريب ، وأخذته رجفةُ الرجل السروب ، وفكر فى الرجوع على عقبيه فما جرؤ على رجعة وشيكة ، فقد سالت نفسه على الحياط والجدر ، وأنمى مخاوفه بصيص من ضياء يتسرب الى حضيض البيعة من ثقوب فى قبتها السامقة ، وقد تسايل على الجدر والحياط فضوّاها ، فنظر هرقليوس إليها فاذا عليها تصاوير فاغرة شاحبة تمثل أشخاصاً ذوى وجوه كامدة ، وقد قعد هؤلاء القرفصاء ، وحسروا عن صدورهم فاذا هى قد أكلتها القروح وأنخنتها الجروح ، فسال صديدها على أطمار بالية عافية ، وبين هؤلاء المناكيد المشائيم فقراء متسولون يغشى وجوههم الناصلة أثر غير يسير من بؤس ويأس ، ومن حولهم فتى رائع الجمال ، ضاحك الأسارير قد سدر شعوره الشقر على منكبيه حتى مائل المسيح فى ملامحه البارعة ؛ ولكنه ضرير لايبصر ماحوله !

خيل الى هرقليوس وهو ينظر الى هذه التهاويل أنه فى

مكان يسوده العذاب ، فتلطفت نفسه ورجفت أسنانه ووضع يده على عينيه كأنما هو يحاول ألا يرى إلى هذه الأشياء الجاهمة ، ثم فكر فى الرجوع إلى المعبد ، ليلحق برجاله الذين ينتظرون معاده على الأبواب فما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فلقد أماتته مخاوفه إلى الايقال فى الطواف فمشى بين صفين متقابلين من أشباح وصور ثم لم يعد فى ميسوره أن يدأب فى طوافه ، فوقف تحت قنطرة المعبد وجعل يستمع لغمغام مؤلم ينبعث من صدره

ليس بين هذه المحاريب التى غصت بها أنحاء كنيسة القبر المقدس ما يماثل محراب القديسة هيلانة فى ظلمته وروعته ، وفى ذكرياته الحافزة المثيرة ، فلقد يستطيع الانسان أن يمر بالمعابد جميعاً وينسل إلى الأروقة جميعاً ، ويتجسس العمد والتصاوير جميعاً فلا يحس خوفاً ، فاذا ألقت به حظوظه العاثرة الى معبد القديسة هيلانه بدت له نواحيه وأطرافه صامتة ذاهلة ، فاذا تدفق فى سيره ألفاه خالياً عاطلاً إلا من هذه الأشباح والأطياف الجاثمة على سلالمه ودرجاته وعند مداخله ، وإلا من هذه التصاوير التى لاتفارق جدره وحياطه ، فاذا طاف بهياكله ومنابره لم تتبدل فى عينيه هذه الصور التى أبصرها على عمده وحناياه وأقواسه ، ثم لا يلبث أن يفر من هذا المكان الراعب الذى يماثل فى تهاويله وتصاويره معابد الوثنية

لم يجد هراقليوس معدى عن الصلاة فخافت بصوته لعل صلاته تنسيه هذا الضجر الأحمق الذى علق بنفسه ، أو لعل هذه الصلاة التى همس بها فى الراموس الراعب ترجع به إلى حزمه ومضائه فينقلب على أحلامه وهواجسه ، ويجفو هذه الزلة الجاهدة ، ويفىء إلى سربه صحيح العقل موفور الذكاء ، ولكن الرجل الذى أوفى لنصرانيته وبر بمسيحه ما كان يجد فى هذه الصلاة التى رددها أمام التصاوير ، ذلك الصفاء الذى كان يشتاقه ، وذلك لأن ماضيه مَثَلَ له فى الراموس النابى ، فزحمته طيوفه وأشباحه ، وخرجت على فمه أسماء معاركه وملاحمه ، وانفلتت من صدره ذكريات مخازيه ومساويه ، فوازن بين انتصاره على الوثنية وبين ابتهاله فى تنكيد أبناء الشيع النصرانية ، فرجحت كفة رذائله على كفة فضائله ، فتشاجى ورق وهام على وجهه فى فضاء المعبد حتى بلغ هيكله المرمرى ، فوقف حياله كأنما هو يريد أن يعترف بذنبه ، أو كأنما هو ينزع الى إلقاء جرائمه فى هذا المكان المخوف ، فذكر أمام الهيكل اسم : « مارتينا » زوجه ، وقد نهاه البطريرك « سرجيوس » عن مخالطتها ، فأبى ذلك مسايرةً لميول قلبه ، ثم تزوجها وألبسها لباس القياصرة ومشى بها الى كنيسة أياصوفيا من غير أن يفطن الى عظيم ذنبه عند ربه

وكان كلما طافت به هذه الذكرُ الشجية لا يمنع عينيه البكاء حتى لقد استفاض أنينه فى أنحاء المعبد ، فاستمعت لها التصاوير ووعتها السدفة ، ثم غشيته ذهلة قاتلة ، فجعل يهذى هذياناً بليغاً ، وانكفأ يخلط ماضيه بحاضره ، وقذف فمه أسماء ضحاياه ، وبين هذه الأسماء التى لا تحصي اسم فتاة وطىء قيصر عفافها فى ليلة عاصفة بالبروق والرعود ، وأرادها على فراق وطنها فخرجت منه الى ربوع الشام وفى نفسها المحطمة من الذكر الراعبة ما ليس فى كتاب

وكان هذا الخوف الذى تولاه ساعة نظر الى صورة الأعمى مبعث حيرته ومصدر وساوسه ، فسأل نفسه عن هذا الجزع الذى غشيها وهو الزعيم الكمىّ الذى جاز بفرسانه شواهق أنطاكية وسهولها ليلحق بجيوش « كسرى » عند « تدمُر » فتنة الصحارى ، فلما فرت جيوش كسرى أمام كتائبه ثارت حميته واستأنف زحفه فى أرض محصبة واعرة ، حتى لقى كسرى عند دجلة فنهد الى مقارعته وحمله عار الانكسار ، ولحق به الى المدائن وأقسره على إرجاع الصليب الذى حمله ملك الملوك من بيت القدس

وليس هذا كل ما فكر فيه ، بل لقد ذهب فى تفكيره الى أبعد مدى ، فتمثل دخوله الى هياكل الوثنية فى موكب ضاحك عليه الشيء الكثير من بهاء النصرانية ورواء القيصرية ، ولم ينس تلك الحماسة البالغة التى لقيها فى معابد « جوبيتير » و « منرفا » فوازن بينها وبين هذا الفتور الذى استقبلته به معابد النصرانية ! وعيناه لا تزالان تنظران الى صورة الفتى الأشقر الذى لا يبصر !

(البقية فى العدد القادم)

مصطفى لطفى المنفلوطى